أسباب عقوق الأبناء وكيف نعالجها ؟

تأليف
سعيد عبد العظيم

دار العقيدة

الطبعة الثانية

٢٠٠٣ م - ١٤٢٣ هـ

رقم الإيداع: ٧٤١٣ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى: X - 51 - 5458 - 977



الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح - باكوس ت: ٠٣/ ٥٧٤٧٣٢١ فاكس: ٠٣/ ٥٧٤٧٠٧٦
القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ٥١٤٣١٧٤ / ٠٠٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يضيق خناق الغربة حول الرقاب يوماً بعد آخر، حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، فالحياة صارت مادية بعيدة عن معاني الإيمان، كالجسد بلا روح، واستشرى الانحراف في حياتنا الخاصة والعامة، وصار العقوق للشريعة المطهرة، والعقل والفطرة، والوالدين... سمة من سمات العصر، لقد تخلف ثلاثة من الصحابة عن غزوة تبوك[١] فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه، ورأى الأفاضل بعض الهفوات فضاقت صدورهم، ونطقت قلوبهم قبل ألسنتهم تئن وتستنكر، فقال حذيفة رضي الله عنه : «أما أنا فلا أبايع إلا فلاناً وفلاناً»، فقد رأى أن الأمانة قد نزعت.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : «لو خرج رسول الله ﷺ فيهم ما علم إلا الآذان».

وقال ابن عباس رضي الله عنه : «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر!!».

---

(١) قصة الثلاثة الذين خلفوا، رواها الشيخان من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

ويأتي من بعـدهم يرسلونهـا صيحة وصرخـة: أنتم تنتظرون المطر وأنا أنتظر حلول العذاب، ويقول الآخر لأصحابه: وددت لأحدكم لو حافظ على دينه كما يحافظ على نعله... فقد كانوا ناصحين منيبين، كما كانوا صادقين، لا تكاد تبدر منهم لفتة من هوى، أو حركة من شهوة، إلا ويعتبرونها خيانة ويقرون على أنفسهم بالذنب، كما حدث من أبى لبابة بن المنذر ﷺ عندما استشاره بنو قريظة أينزلون على حكم سعد ﷺ ؟ فأشار إلى رقبته أنه الذبح، يقول: فما تحركت قدماى حتى علمت أننى خنت الله ورسوله، ونزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:27].

فماذا لو رأى هؤلاء من يقتل أمه وهى تصلى؟! ويضرب أباه ويتوعده!! لقد شاهدنا من يخجل من والديه ويتبرم بهما ويجترأ عليهما بل وقد يتبرأ منهما بسبب قلة ذات اليد أو ضعف المكانة الاجتماعية!! لقد سمعنا عمن إذا أحب زوجته عق أمه واستخف بها!! وهذا الذى يظهر الابتسامة ولين الجانب مع إخوانه وأصدقائه، والعبوس وتقطيب الجبين والحدة والغلظة مع الوالدين... حكايات كثيرة تعلمها أنت جيداً من وقفاتك وواقع الناس.

ولا يبعد أن تكون من أعظم أسباب الشقاء والبلاء وتسلط الأعداء فى الداخل والخارج، فما نزل بلاء إلا بذنب، والانسلاخ عن دين الله سبب كل شر وهوان، وتمكين لشياطين الإنس والجن من النفس والبلاد والعباد، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:44]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف:59]. وضرب سبحانه مثل السوء لبلعام بن عوراء ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

[الأعراف:175].

لقد تكلم البعض عن خطط الأعداء والغزو الفكرى وكيد الملاحدة واليهود والصليبيين... ومكر الليل والنهار، وكل هذا حسن، ولكن بقى أن ننتبه لأنفسنا، وأن نحذر العدو الذى يجرى منا مجرى الدم من العروق، وأن ننقى الصفوف من العاقين ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:120]. ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران:186].

فكيف تستجاب الدعوات ويتحقق النصر وتتنزل الرحمة وترتفع النقمة وفينا هذا الدخن، لقد تحول النصر إلى هزيمة يوم أحد بسبب شؤم المعصية والمخالفة، وكان البعض إذا تأخر النصر فتش فى نفسه لعله تخلف عن سنة كالسواك، وكان الآخر إذا أراد أن يدعو أقسم على الحاضرين بالله أن يقوم العاق منهم حتى لا يحرموا بركة الإجابة بشؤم معصيته، والسنن لا تعرف المحاباة ولا المجاملات.

ما أحرانا أن نفتش فى أنفسنا، وما أحوج الصحوة الإسلامية أن تنصبغ بالأخلاق الإيمانية قلباً وقالباً، وعلماً وعملاً، ودعوة وسلوكاً، مع الوالدين وعموم الخلق، إرضاءاً للرحمن وخزياً للشيطان وحذراً من الانتكاسة والإحجام بعد الإقدام، وإعطاء لكل ذى حق حقه.

كتبه

سعيد عبد العظيم

* * *

القرآن يأمر ببر الوالدين

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

[لقمان: 14-15].

أمر سبحانه وتعالى بشكرهما ومصاحبتهما بالمعروف، وإن كانا مشركين، وقد نزلت الآيات في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «كنت رجلاً باراً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى، فيقال: يا قاتل أمه، قلت: يا أمه لا تفعلى فإنى لا أدع دينى هذا لشيء فمكثت يوماً وليلة لا تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوماً آخر وليلة وقد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى هذا لشيء فإن شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلى، فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية»[1].

وقد شفع سبحانه وتعالى الإحسان إليهما بتوحيده، وأمر ببرهما بعد أخطر قضية في الوجود فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]. وقال أيضاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

---

(١) رواه مسلم والترمذى.

وبين سبحانه وتعالى عاقبة الإحسان لمن بر والديه فقال عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف:15-16].

وقال سبحانه وتعالى فى حق من قطع رحمه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾

[محمد:22-23].

وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق ﵄ قالت: «قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمى قدمت وهى راغبة، أفأصل أمى؟ قال: «نعم صلى أمك»؛ قال ابن عيينة: فأنزل الله عز وجل فيها: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:8][(١)]

ولم تكن أمها راغبة فى الإسلام وإنما متطلعة إلى مالها.

* * *

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

السنة تحض على البر

عن أبى هريرة ﷺ قال: «أتى رجل إلى النبى ﷺ فقال: ما تأمرنى قال: «بر أمك ثم عاد فقال: بر أمك ثم عاد فقال: بر أمك ثم عاد الرابعة فقال: بر أباك»(١). وأصله فى الصحيحين بلفظ: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتى... الحديث.

وروى عمرو بن مرة الجهنى ﷺ: «أن رجلاً جاء النبى ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالى، وصمت رمضان، فقال النبى ﷺ: «**من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب أصبعيه- ما لم يعق والديه**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان فقال رسول الله ﷺ: «**ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما**»(٣).

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ «أن رجلاً من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: «**هل لك أحد باليمن**؟ قال: أبواى، قال: **أذنا لك**؟ قال: لا، قال: **فارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما**»(٤).

عن ابن مسعود ﷺ قال: «سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أحب إلى الله؟ وفى رواية: أى العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**، قلت: ثم أى، قال: **بر الوالدين**، قلت: ثم أى، قال: **الجهاد فى سبيل الله**»(٥).

---

(١) رواه البخارى فى «الأدب المفرد».
(٢) رواه أحمد والطبرانى بسند صحيح.
(٣) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» والنسائى وعبد الرزاق، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
(٤) رواه أحمد وأبو داود، والحاكم وابن حبان وصححه.
(٥) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنئا بى طلب شجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ومالاً فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر**». زاد بعض الرواة: **والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج... ودعا الثانى بغضه عن ابنة عمه... والثالث توسل إلى الله بأمانته وتثمير مال الأجير... فانفرجت فخرجوا يمشون**»[1].



(١) رواه البخارى، ومسلم.

البر في حياة الأنبياء والمرسلين

قال سبحانه وتعالى عن نبيه يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:14].

وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

[مريم:32].

وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف:100].

ومن أروع صور البر قصة إسماعيل مع أبيه إبراهيم عليهما السلام، فإن إبراهيم لما أُمر بذبح ولده إسماعيل، وقص عليه خبر الرؤيا -رؤيا الأنبياء حق- ما كان من إسماعيل إلا الاستسلام لأمر الله والبر بوالده، والسمع والطاعة له، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾

[الصافات:101-107].

وقام إسماعيل بمساعدة أبيه إبراهيم -عليهما السلام- في رفع قواعد الكعبة المشرفة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:127-128].

وتلمس البر هذا في دعوة نبي الله إبراهيم ﷺ لأبيه آزر، وكان الأب يصنع الأصنام ويعبدها، فترفق إبراهيم ﷺ في دعوته، واستماله بلفظ الأبوة، ووجه له الخطاب في لين وأدب فقال: ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ

عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:44-45]. فلما تهدده الأب وتوعده وقال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[مريم:46]. فما كان من إبراهيم ﷺ إلا أن واجه الإساءة بالإحسان وقال: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم:47-48]. ثم لما تبين لإبراهيم ﷺ أن أباه آزر على الكفر تبرأ منه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة:114].

ومن المعلوم أن والدى رسول الله ﷺ توفيا حال صغره، وكان رسول الله ﷺ يقول عن حاضنته أم أيمن: «**هى أمي**»، وكان إذا رأى حليمة السعدية – مرضعته– قام لها وأكرمها وأجزل لها العطاء، واستأذن ﷺ **ربه فى زيارة قبر أمه فأذن له.**

* * *

بر الوالدين فى حياة سلفنا الصالح

* قيل لعلى بن الحسين -رحمه الله- إنك من أبر الناس، ولا تأكل مع أمك فى صحفة، فقال: «أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها».

*عن محمد بن سيرين قال: «بلغت النخلة فى عهد عثمان بن عفان ألف درهم، قال: فعمد أسامة -ابن زيد ﷺ - إلى نخلة فعقرها فأخرج جمارها، فأطعمه أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمى سألتنيه ولا تسألنى شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها».

* وعن عبد الله بن المبارك قال: «قال محمد بن المنكدر: بات عمر، يعنى أخاه، يصلى وبت أغمز رجل أمى، وما أحب أن ليلتى بليلته».

* وعن ابن عون قال: «دخل رجل على محمد بن سيرين عند أمه فقال: ما شأن محمد يشتكى شيئاً؟ فقالوا: لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه».

* كان أبو هريرة ﷺ إذا دخل إلى أرضه بالعقيق صاح بأعلى صوته: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أماه فتقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتنى صغيراً، فتقول: يا بنى وأنت فجزاك الله خيراً ورضى عنك كما بررتنى كبيراً»[1].

* وعن حفصة بنت سيرين قالت: «كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تَخشُعاً لها، وقيل كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذى لا ينتصف منه».

* وعن ابن عون: أن أمه نادته فأجابها، فعلى صوته صوتها، فأعتق رقبتين.

* قال المأمون: «لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن، وهما فى السجن، فمنعهما السجان من إدخال الحطب

---

(١) رواه البخارى فى «الأدب المفرد».

فى ليلة باردة، فقام الفضل، حين أخذ يحيى مضجعه، إلى قمقم كان يسخن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائماً وهو فى يده حتى أصبح».

رأى علي ﷺ رجلا يحمل أمه ويطوف بها حول الكعبة وهو يقول:

أنـــا مطيتهـــا لا أنفـــــر وإذا الركـاب ذُعـرت لا أذعـــر

ما حملتنـــى وأرضعتنـى أكثـــر لبيـــك اللهـــم لبيـــــك

فقال على لعمر ﷺ : هيا بنا يا أبا حفص ندخل فى الطواف لعل الرحمة تنزل فتعمنا، والرجل يقول:

أنا مطيتها لا أنفر...

وعلى ﷺ خلفه يقول:

إن تبرهـــا فاللـــه أشكـــر يجـــزيـــك بالقليـل الأكثـرَ[١]

* عن عبد الله بن دينار: «عن عبد الله بن عمر ﷺ : أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر ﷺ وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال: ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله بن عمر ﷺ : إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب ﷺ وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**» **وفى رواية**: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه من بعد أن يولي**».

* أخرج مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**». وفى رواية له: «**إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم**».

---

(١) أخرجه البيهقى فى «الشعب».

أقوالهم ونصائحهم فى البر

* قال عمر بن عبد العزيز لابن مهران: «لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة، وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقاً فإنه لن يقبلك وقد عق والديه».

* قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ : «إن لى أماً بلغ منها الكبر، أنها لا تقضى حاجتها إلا وظهرى لها مطية، فهل أديت حقها؟ قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها».

* كان رجل يمانى يطوف بالبيت قد حمل أمه وراء ظهره يقول:

«إنى لهـــا بعيـرهـــا المذلـــل إن أذعـــــرت ركابهـــا لا أذعـــر

ثم قال يا ابن عمر أترانى جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة»[١] أى حملة واحدة.

* أخرج عبد الرزاق فى «المصنف» والبخارى فى «الأدب المفرد» والبيهقى فى «الشعب» عن أبى هريرة ﷺ : «أنه أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبى، فقال: لا تسمه، وفى لفظ: لا تدعه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله حتى يجلس، ولا تستنسب له»[٢].

* عن الحسن فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء:23]. قال: يقول: يا أبت، يا أمه، ولا يسمهما باسمهما»[٣].

* عن طاوس قال: «إن من السنة أن توقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، قال: ويقال: إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه».

---

(١) رواه البخارى فى «الأدب المفرد».
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم.
(٣) أخرجه عبد الرزاق، والبيهقى.

* قيل للبعض: كان أبوك أجمل وأعقل وأفضل منك فقال: لأني كنت به ولم يكن بي وهو أولى بالكمال مني.

* حضر صالح بن العباس مجلس المنصور، وكان يحدثه، ويكثر من قوله: «أبي رحمه الله»، فقال له الربيع: لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين، فقال له: لا ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء، فتبسم المنصور فقال: هذا جزاء من تعرض لبني هاشم.

* عن وهب بن منبه قال: «إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال: يا رب بم تأمرني؟ قال: **بأن لا تشرك بي شيئاً**. قال: وبم؟ قال: **وببر والدتك**. قال: وبم؟ قال: **بوالدتك**. قال: وبم؟ قال: **بوالدتك**»(1).

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إنما سماهم الله أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق».

عن عروة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:24].

يقول: «اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ»(2).

* عن قتادة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء:23]. قال: «قولاً ليناً سهلاً».

* * *

(1) رواه أحمد في كتاب «الزهد».
(2) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد».

عدم إمكان مجازاة الوالدين

* عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**»(١).

* وعن بريدة ﷺ أن رجلاً قال: «يا رسول الله إني حملت أمي في رمضاء شديدة لو ألقت فيها بضعة «قطعة» من لحم لنضجت، فهل أديتُ شكرها؟ فقال رسول الله ﷺ : «**لعله أن يكون بطلقة واحدة**»(٢).

* وأخرج ابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل ﷺ : «أنه قيل له: ما حق الوالدين على الولد؟ قال: لو خرجت من أهلك ومالك لأبيك ما أديت حقهما».

* قال الطيبي: «الأبوة تقتضي الملكية كما في حديث: «**أنت ومالك لأبيك**» والشراء من مقدمات الملك والعتق من مقتضياته كما تقرر في علم الأصول... والمعنى لا يجزى ولد والده إلا أن يملكه ويعتقه وهو محال، فالمجازاة محال». اهـ.

إن الابن مهما حرص على بر والديه، وإسداء الخير لهما لا يستطيع مكافأتهما، وكيف يجازيهما؟!! وقد حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً، حملته وهناً على وهن، وكان بطنها له حواء، وصدرها له سقاء، فلو تمكن من فعل ذلك كله، فسيبقى الفارق الكبير بين من يفعل ذلك وهو يتمنى حياة صغيره، والآخر الذي يتمنى موتهما والخلاص منهما طلباً لراحتهما بزعمه أو طمعاً في الميراث.

* * *

(١) رواه مسلم والترمذي وأبو داود.
(٢) رواه الطبراني في «الأوسط».

بعض مظاهر بر الوالدين

* قال الإمام النووى فى «شرح صحيح الإمام مسلم»: «أجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين وأن عقوقهما حرام من الكبائر». اهـ.

* وقال السفارينى فى «شرح منظومة الآداب»: «قال ابن حزم فى كتاب «الإجماع»: اتفقوا على أن بر الوالدين فرض واتفقوا على أن بر الجد فرض».

* والبر هو جماع المعروف ويتضمن إسداء الخير لهما واستدخال السرور عليهما، والامتناع عن كل ما فيه إحزانهما وإغضابهما، وكل ذلك فى غير معصية الله عز وجل، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق عز وجل، وقد ذكر البعض أن البر: شيء هين: وجه طليق، وكلام لين، ويتضمن بذل الندى وكف الأذى.

وننتقل بعد هذا الإجمال إلى ذكر بعض الأمثلة:

(١) وجوب النفقة على الوالدين

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:15]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:36]. وليس من الإحسان ولا من المصاحبة بالمعروف أن يموتا جوعاً والولد موسر.

* روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﵃ : «أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: إن لى مالاً وإن والدى يحتاج إلى مالى؟ قال: «**أنت ومالك لوالدك، إن أولادكم من أطيب كسبكم، كلوا من كسب أولادكم**»(١).

* وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه، فكلوا من أموالكم**»(٢).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

* وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن للولد أن يأخذ من ولده قدر الحاجة، وذهب الإمام أحمد إلى أنه يأخذ قدر الحاجة وغير الحاجة.

* وعن كعب بن عجرة ﷺ قال: «مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب النبى ﷺ جَلَدَه ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ : «**إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعتقها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان**»[(١)].

* وقد مر بك قول النبى ﷺ لأسماء: «**صلى أمك..**»[(٢)]، وكانت أمها راغبة فيما عندها. قال الخطابى: «فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلماً».اهـ.

(٢) وجوب طاعتهما

تجب طاعة الوالدين فى غير معصية الله عز وجل، لما رواه الشيخان عن على ﷺ مرفوعاً: «**لا طاعة فى معصية، وإنما الطاعة فى المعروف**». ولما رواه أحمد والحاكم من حديث عمران بن حصين ﷺ مرفوعاً بلفظ: «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**».

* وأخرج الطبرانى بسند حسن عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد**». والأم لها ثلاثة

(١) رواه الطبرانى فى «المعاجم الثلاثة» ورجال الكبير رجال الصحيح.
(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

أرباع ما للأب من البر ولذلك فمعصية الوالدة أشد قبحاً، وقد اكتفى بذكر الوالد، والوالدة داخلة فى الحكم من باب ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل:81]. وهى تقى البرد من باب أولى وأحرى، ومن باب ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى:9]. أى وإن لم تنفع فذكر.

* وعن أبى الدرداء ﷺ قال: «أوصانى رسول الله ﷺ بتسع: **«لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمداً، ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة، ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر، وأطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما، ولا تنازعن ولاة الأمور، وإن رأيت أنك أنت، ولا تفر من الزحف وإن أهلكت، ووقر أصحابك، وأنفق من طولك على أهلك، ولا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم فى الله عز وجل»**[1].

فإن تعارضت الأمور المباحة للأم والأب بالنسبة لك، فاحرص على استرضائهما والجمع بين المصالح بحيث تطيع أباك ولا تعصى أمك، مع العلم أن طاعة المرأة لزوجها وطاعة الرجل لأمه.

* * *

---

(1) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» وله طرق وشواهد.

هل تجب طاعة الأبوين فى الشبهات

* عن أبى هريرة ﷺ مرفوعاً: «**إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه طعاماً فليأكل من طعامه ولا يسأله عنه، وإن سقاه شراباً من شرابه فليشرب من شرابه ولا يسأل عنه**»[٢].

* وعن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً سأله فقال: لى جار يأكل الربا، ولا يزال يدعونى، فقال: مهنأه لك وإثمه عليه؛ قال الثورى: إن عرفته بعينه فلا تأكله.

* ومراد ابن مسعود ﷺ وكلامه لا يخالف هذا.

* وروى جماعة عن سلمان ﷺ قال: إذا كان لك صديق عامل فدعاك إلى طعام فاقبله فإن مهنأه لك وإثمه عليه.

* وقال منصور: قلت لإبراهيم النخعى: عريف لنا يصيب من الظلم ويدعونى فلا أجبه، فقال إبراهيم: للشيطان غرض بهذا ليوقع عداوة، قد كان العمال يهمطون ويصيبون ثم يدعون فيُجابون، قلت: نزلت بعامل فأنزلنى وأجازنى، قال: اقبل، قلت: فصاحب ربا، قال: اقبل ما لم تره بعينه.

قال الجوهرى: الهمط: الظلم والأخذ بلا تقدير.

* قال فى «الآداب الكبرى»: ولأن الأصل الإباحة وكما لو لم يتيقن محرماً فإنه لا يحرم بالحرمان وإن كان تركه أولى، قال: وينبنى على هذا حكم معاملته وقبول هديته وضيافته ونحو ذلك والله أعلم. اهـ.

* قال الغزالى: أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات وإن لم تجب فى الحرام المحض، لأن ترك الشبه ورع، ورضاء الوالدين حتم. اهـ.

وذكر السفارينى: أن الذى استقر عليه المذهب عدم الحرمة بل يكره ذلك وقوة الكراهة فيه وضعفها بحسب كثرة الحرام وقليله. اهـ.

---

(١) رواه أحمد.

قول شيخ الإسلام في طاعة الوالدين في الزواج والصيام والحج والجماعة

* ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه ليس لأحد الأبوين أن يلزم الولد بنكاح من لا يريدها وأنه إذا امتنع لا يكون عاقاً، وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر طبعه عنه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح بذلك أولى، فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طول يؤذى صاحبه، ولا يمكنه فراقه والله أعلم.

* **وفيما يتعلق بالصيام وصلاة التطوع** قال: يكره الابتداء فيه إذا نهياه واستحب الخروج منه، وأما الصلاة فقال: يداريهما ويصلى.اهـ.

وقد نص الإمام أحمد على خروجه من صلاة النفل إذا سأله أحد والديه. وقال الإمام موفق الدين فى حج التطوع: إن للوالد منع الولد من الخروج إليه لأن له منعه من الغزو وهو من فروض الكفايات والتطوع أولى.

قال ابن تيمية: والذى ينتفع به الأبوان ولا يتضرر هو بطاعتهما فيه قسمان:

* **قسم يضرهما تركه**، فهذا لا يستراب فى وجوب طاعتهما فيه، بل عندنا هذا يجب للجار.

* **وقسم ينتفعان به ولا يضرهما أيضاً يجب طاعتهما فيه**... فأما ما كان يضره طاعتهما فيه لم تجب طاعتهما فيه، لكن إن شق عليه ولم يضره وجب؛ وقال: بر الوالدين واجب، ما لم يكن معصية؛ لأن فرائض الله تعالى من الطهارة وأركان الصلاة والصوم، تسقط بالضرر؛ فبر الوالدين لا يتعدى ذلك، وعلى هذا بنينا أمر التملك فإنا جوزنا له أخذ ماله ما لم يضره، فأخذ منافعه كأخذ ماله، وهو معنى قوله ﷺ : «**أنت ومالك لأبيك**».. فلا يكون الولد بأكثر من العبد.

وذكر شيخ الإسلام: أن نصوص الإمام أحمد تدل على أنه لا طاعة لهما فى ترك الفرض، وهى صريحة فى عدم ترك الجماعة، وعدم تأخير الحج.

وقال ـ رحمه الله ـ فى رجل تسأله أمه أن يشترى لها ملحفة للخروج؟.

قال: إن كان خروجها فى باب من أبواب البر، كعيادة مريض، أو جار، أو قرابة، أو لأمر واجب فلا بأس، وإن كان غير ذلك، فلا يعينها على الخروج.

وقيل له- إن أمرنى أبى بإتيان السلطان له علىّ طاعة؟.

قال: لا.

وذكر أبو البركات: أن الوالد لا يجوز له منع ولده من السنن الراتبة... قال فى «الآداب»: ومقتضى هذا أن كل ما تأكد شرعاً لا يجوز له منع ولده فلا يطيعه فيه.

(٣) هل يجب طاعتهما فى طلاق الزوجة؟

عن ابن عمر ﷺ قال: «كانت تحتى امرأة أحبها، وكان أبى يكرهها فأمرنى أن أطلقها فأبيت، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك**»[(١)] وفى لفظ: «**أطع أباك وطلق امرأتك**».

قال الشوكانى فى «نيل الأوطار»: «هذا دليل صريح يقتضى أنه يجب على الرجل إذا أمره أبوه بطلاق زوجته أن يطلقها، وإن كان يحبها، فليس ذلك عذراً له فى الإمساك، ويلحق فى ذلك بالأب الأم؛ لأن النبى ﷺ قد بين أن لها من الحق ما يزيد على حق الأب، كما فى حديث: من أبر يا رسول الله؟ فقال: **أمك**، ثم سأله، فقال: **أمك** ثم سأله، فقال: **أمك وأباك**» وحديث «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[(٢)]؛ وغير ذلك».اهـ.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، وقال الترمذى: حسن صحيح.
(٢) صحح البعض الحديث لشواهده.

وقد اشترط الإمام أحمد العدل، وعدم الحيف، والجور؛ فقد سأله رجل -فقال: إن أبى يأمرنى أن أطلق امرأتى، فهل أطلقها؟ قال: لا تطلقها، فقال الرجل: أليس عمر أمر ابنه أن يطلق امرأته، قال: حتى يكون أبوك مثل عمر ﷺ، أى فى العدل.

فينبغى الحذر من التجارى مع الأهواء، واستدخال الضرر على العباد، والقيام بواجب النصيحة مع مراعاة معانى الرفق ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[طه:132].

فإذا أمرا -أو أحدهما- الابن بعدم التزوج من امرأة بعينها فيجب عليه السمع والطاعة لهما، وإلا فقد علمت ما قيل لابن عمر بعد زواجه من امرأة يحبها، وأنت لم ترتبط بعد بهذه المرأة.

وقد ذكرت لجنة الفتوى بالسعودية بأنه لا طاعة لهما إذا أمرا الابن بالزواج من متبرجة.

(٤) استئذان الوالدين فى الجهاد وسفر التطوع

* عن أبى سعيد الخدرى ﷺ : «أن رجلاً من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: «**هل لك أحد باليمن**؟ قال: أبواى، قال: **أذنا لك**، قال: لا، قال: **فارجع إليهما فاستئذنهما، فإن أذنا لك؛ فجاهد، وإلا فبرهما**».

* قال الحافظ فى «الفتح»: «قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما منه بشرط أن يكونا مسلمين لأن برهما فرض عين عليه والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن» اهـ.

* قال الإمام النووى فى «شرح صحيح الإمام مسلم»: «قال أبو محمد بن عبد السلام: يحرم على الولد الجهاد بغير إذن» اهـ.

* وقال أيضاً: «قال العلماء: لا يجوز الجهاد إلا بإذن الوالدين إذا كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما، فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعى

ومن وافقه، وشرطه الثورى، هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين الجهاد وإلا يجوز بغير إذن» اهـ.

* وتعيين الجهاد يكون إذا داهم العدو بلداً أو كان النفير عاماً أو حضر صفوف القتال، أو انتدب الإمام رجلاً بعينه.

ويلتحق بالجهاد السفر المباح من باب أولى، أما إن كان سفره لتعلم فرض عين، حيث يتعين السفر طريقاً إليه فلا مانع من السفر بلا استئذان.

(٥) تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نادت امرأة ابنها وهو فى صومعته فقالت: يا جريج، قال: اللهم أمى وصلاتي، قالت: يا جريج، قال: اللهم أمى وصلاتي، قالت: يا جريج قال: اللهم أمي وصلاتي، قالت: اللهم لا يموت حتى ينظر فى وجوه الميامس، وكانت تأوى إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت، فقيل لها: ممن هذا الولد؟ قالت: من جريج نزل من صومعته، قال جريج: أين هذه التى تزعم أن ولدها لي، قال: يا بابوس من أبوك؟ قال: راعى الغنم**»[(١)].

قال النووى فى «شرح صحيح مسلم»: «قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب فى حقه إجابتها، لأنه كان فى صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها، ثم يعود لصلاته فلعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، ويضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه».اهـ.

---

(١) متفق عليه.

* سُئل مجاهد عن الرجل يدعوه أبوه أو أمه فى الصلاة؟ قال: يجيبهما.

* وعن مالك: إذا منعته أمه عن حضور العشاء فى جماعة لم يطعها وإن منعته من الجهاد أطاعها.

* وسُئل الحسن ﷺ عن الرجل تقول له أمه: أفطر؟ قال: يفطر وليس عليه قضاء، وله أجر الصوم.

وإذا قالت أمه: لا تخرج إلى الصلاة فليس لها فى هذا طاعة لأن هذا فرض.

الصيام المذكور هو صوم التطوع لا صيام رمضان، إذ لو أمرته بالفطر فى رمضان فلا طاعة لها.

(٦) القيام للوالدين

* عن عائشة ﵂ قالت: «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا هدياً برسول الله ﷺ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها، قالت: وكانت إذا دخلت على النبى ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها فى مجلسه، وكان النبى ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته فى مجلسها»[١].

* قال بعض العلماء: القيام للوالدين من إظهار البر والإجلال، والانخفاض والامتثال وهو من جملة ودهما، وما عساه أن يفعل فى جنب كدهما، وقد ربياه صغيراً وأسهرا أعينهما لحفظه سهراً كبيراً، وقد قرن الله عز وجل شكره بشكرهما، لعظيم حقهما عليه، وأمره عز وجل أن يخفض لهما جناح الذل لكبر طاعتهما.

* قال النووى فى «الأذكار»: «وأما إكرام الداخل بالقيام، فالذى نختاره أنه

---

(١) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال: حديث حسن صحيح، وصححه النووى.

مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة، من علم، أو صلاح، أو شرف، أو ولاية، مصحوبة بصيانة، أو له ولادة، أو رحم مع سن، ونحو ذلك، ويكون القيام للبر والإكرام والاحترام، لا للرياء والإعظام، وعلى هذا الذى اخترناه استمر عمل السلف والخلف». اهـ.

وقد يحمل النهى الوارد عن القيام لمن أراد أن يقوم الرجال عند رأسه، أو أن يلزمهم بالقيام له صفوفاً، على طريق الكبر والنخوة، كما قال الخطابى أو أن يستحب ذلك.

(٧) من البر الحج والصيام عن الوالدين

عن ابن عباس رضي الله عنه : «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها، قال: «**نعم حجى عنها، أفرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته، اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»[١]. وبهذا الحديث وغيره ذهب الجمهور إلى إجزاء الحج عن الميت، وفى الحديث: «**حج عن أبيك واعتمر**».

ويشترط أن يكون من أراد الحج عن الوالدين قد حج عن نفسه أولاً لحديث شبرمة.

* وفى حديث الخثعمية قالت: فريضة الله على عباده فى الحج، أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك»[٢].

* وأيضاً قال صلى الله عليه وسلم : «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[٣]. وهذا واجب عليه الصيام وتراخى فى القضاء حتى مات، ويجوز توزيع الأيام على الأولياء، فإن لم يستطع الولى الصيام أطعم عن والده مساكين بعدد الأيام التى أفطرها.

---

(١) رواه البخارى.
(٢) الحديث رواه الجماعة.
(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٨) مـن البـر الاستـئـذان عليهـمـا

* جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «استأذن على أمي؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها»[1].

* وعن موسى بن طلحة قال: دخلت مع أبي على أمي فدخل فأتبعته فالتفت فدفع في صدري حتى أقعدني على استي، ثم قال: أتدخل بغير إذن!!.

* وسأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال: استأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره.

فالبر مظاهر وصور كثيرة يشمل قضاء دينهما، ولين الجانب لهما، وأن لا يرفع يده عليهما إذا كلمهما، وأن لا يسمي والداه باسمهما، وأن لا يمشي أمامهما، وأن يخشع الولد لوالده عند الغضب، وأن لا يوقظهما إذا كانا نائمين...

فاحرص على التحلي بهذه الخصال، وكن باراً بوالديك.

(٩)الدعـاء للوالـديـن

* قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:23-24]، في هذه الآية حث للأبناء على الدعاء للوالدين بالرحمة.

* وقد سئل سفيان: كم يدعو الإنسان لوالديه في مرة أو في الشهر أو في السنة؟ فقال: نرجو أن إذا دعا لهما في آخر التشهدات.

* ودبر الصلاة: نهاية التشهد وقبل التسليمتين موطن من مواطن الإجابة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد».

* وقد قال العلماء: من دعا لوالديه خمس مرات فقد أدى حقهما فى الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:14]. فشكر الله تعالى أن يصلى فى كل يوم خمس مرات، وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما فى كل يوم خمس مرات.

ولا حرج فى الدعاء للوالدين بالرحمة والهداية حتى وإن كانا كافرين حال الحياة، فالدعاء قد يكون سبباً فى إيمانهما، أما لو علم أنهما قد ماتا على الكفر فلا يجوز قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:114].

(١٠) من البر الحنث فى اليمين التى يتأذى بها الوالدان

* عن أبى هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لأن يلج أحدكم بيمينه فى أهله آثم له من أن يعطى كفارته التى فرضها الله**»[١].

* قال الإمام النووى: ومعنى الحديث أنه إذا حلف يميناً تتعلق بأهله ويتضررون بعدم حنثه ويكون الحنث ليس بمعصية، فينبغى له أن يحنث فيفعل ذلك الشيء ويكفر عن يمينه، فإن قال: لا أحنث بل أتورع عن ارتكاب الحنث، وأخاف الإثم فيه، فهو مخطئ بهذا القول بل استمراره فى عدم الحنث وإدامة الضرر على أهله أكثر إثماً من الحنث». اهـ.

فمن حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه، وليس للابن أن يجعل يمينه مانعاً له من البر، وخصوصاً إذا أقسم الوالد على خلاف قسم الابن وكان حنث الابن لا معصية فيه فعليه أن يكفر عن يمينه، فلا يمين للابن مع والديه.

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه.

أسبـاب تعينــك علــى بر الوالديــن

أولاً: اعتبر كل آية خطاب لك

القرآن الكريم هو حبل الله المتين، والنور المبين والذكر الحكيم، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، والمسلم مدعو أن يعرض نفسه على كتاب الله، وأن يعتبر كل آية بينة خطاباً له، قبل أن يكون خطاباً لغيره، فهو موقوف به بين يدى الله، ومسئول عما جنت نفسه ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحشر:6].

والقرآن يثبت الأقدام على طريق الحق ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان:32]، ويزرع الإيمان، ويقوى الصلة بالله، كما أنه يرد على الشبهات، ويبصر المؤمنين بطريق أهل الجنة وطريق أهل النار، وإن الفارق كبير بين من ربط حياته بالقرآن، وأقبل عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وعلماً وعملاً، وبين من انخدع بالفلسفات البشرية والزخارف الدنيوية، آية واحدة تكفيك، إن كان عندك تعظيم لحرمات الله سبحانه وتعالى، وتجعلك تسارع فى مرضاته سبحانه وتعالى، وتقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:84].

ثانياً: التزام شرع الله والعمل الصالح

* قال سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:27].

* قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفى الآخرة فى القبر، وكذا روى غير واحد من السلف.

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:66]. وكان النبى ﷺ إذا عمل عملاً أثبته، وكان يقول: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل».

* وهكذا كان شأن سلفنا الصالح، لعلمهم أن العمل بالصالحات من أعظم أسباب التثبيت والإعانة على المزيد من الخيرات.

* قال شداد بن أوس: «إذا رأيت الرجل يعمل بطاعة الله، فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله، فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الطاعة تدل على أختها، وإن المعصية تدل على أختها».

* قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:5-10]. والعبد إذا كان مطيعاً لله معظماً لحرماته سبحانه متابعاً الفرائض بالنوافل كان سبباً فى محبة الله له وتوفيقه وتسديده إلى المزيد من الفضل وفى الحديث القدسى: «**ولا يزال عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**»(١).

وثبت فى الحديث الآخر: «**من تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة**».

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء والمرسلين

يدل على قيمة هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:120].

---

(١) رواه البخارى.

فالمسلم يرى فى الأنبياء والمرسلين كل معانى الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فى البر وغيره من سائر شؤون الحياة ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

[الأنعام:90].

وأنت تلمس بوضوح صدقهم فى الالتزام بدين الله، وعدم تبعيضهم لشرع الله، وكانت الدنيا عندهم أهون من أن يفرطوا فى طاعة الله، فلم يساوموا على معانى الإيمان، ولم يغتروا بزخرف فانٍ، وراعية مسترجعة، قلوبهم معلقة بالله فى جلب النفع ودفع الضر.

فاصبر على طاعة الله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:35]. واحذر المعصية على نفسك، فقد خوف الأفاضل فخافوا ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام:15].

رابعاً: الدعاء

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إنى لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء.

وذلك لأن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60]. ولن يهلك مع الدعاء أحد، فتضرع إلى ربك عساه يجعلك باراً بوالديك، وأكثر من الدعاء ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:8]. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾

[البقرة:250].

«اللهم أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، ولا تكلنى إلى أحد من خلقك». «اللهم أعط نفوسنا تقواها وزكها، فأنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». «اللهم يا معلم إبراهيم الخير علمني، ويا مفهم سليمان فهمني».

ولما كانت «**قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»(١). أى فضلاً وعدلاً، كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك**»(٢).

خامساً: ذكر الله

تسكن القلوب وتطمئن بذكر ربها وخالقها، وتتباعد عنها الشياطين بوساوسها، قال سبحانه وتعالى: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:28]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال:45].

وقال النبى ﷺ : «**ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطرد الشيطان عنه**».

أكثروا من الاستغفار، والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن قولك لا حول ولا قوة إلا بالله، فقد استعان بها السلف على فتح الحصون، واشك حالك وضعف قوتك إلى ربك فهو سبحانه وتعالى الذى يجيب المضطر، ويكشف الضر، وتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإذا أحسست بنزغ فى نفسك، يريد أن يضعف عزمك على البر فنزل ذلك منزلة الوساوس التى لأن تخر من السماء إلى الأرض أهون عليك من أن تجدها، واصنع كما صنع نبى الله يوسف ﷺ عندما أقبلت إليه الفتن تترى قال: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف:33].

(١) رواه أحمد ومسلم.
(٢) رواه الترمذى.

سادساً: كل خير في إتباع من سلف

حرصك على الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، يجعلك تتابع العلم النافع بالعمل الصالح، فأنت عندما قلت: لابد من الرجوع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فإن السلف هم الصحابة ومن تابعهم من سائر قرون الخيرية وأئمة الدين العدول.

والسلفيون هم من تتابعوا على هذا الفهم إلى يومنا هذا من أهل السنة والجماعة، عندما قلت ذلك لم تكن تعنى أن تأخذ علم السلف فقط فى التوحيد والفقه..... فلابد من اقتفاء آثارهم وسلوك سبيلهم فى بر الوالدين والصبر والجهاد وتعظيم الشعائر والحرمات وإعطاء كل ذى حق حقه.... وإذا كنا نطالب الأمة من حولنا بالرجوع لهذا المنهج الإيمانى، فالواجب علينا أن نبدأ وأن نلتزم بما ندعو إليه ونعبد الآخرين به، بلا فاصل بين العلم والعمل، والدعوة والسلوك، فحرصنا على بر الوالدين لا يقل عن حرصنا على الصلاة، وتعلم معانى التوحيد.... لأنها أوامر شرعية، خرجت من مشكاة واحدة، فلا تعارض بينها ولا تنافر ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة:85].

سابعاً: التربية الإيمانية

تخلق بأخلاق المؤمنين وجاهد نفسك مع الاستعانة بالله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]. ولا تجعل ماضيك فى الإساءة وعقوق الوالدين، مانعاً لك من البر.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشى فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
ولا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

ابدأ صفحة جديدة، فلم يولد أحد من بطن أمه عالماً وإنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، واعترف على نفسك بالذنب والتقصير، فعملك لو قدم لزبال لم يقبله، وأنت تتعامل مع من لا تخفى عليه خافية.

فاتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن، وقل: والله أنا كنت أظلم، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً، وتواضع لجناب الله، فمن تواضع لله رفعه.

واعلم أنك لأن تكون ذَنَباً فى الحق خير لك من أن تكون رأساً فى الباطل، ولا تصر على خطأ، وكن رجاعاً لواماً، فهناك يوم آخر يجمع فيه الله الأولين والآخرين، ويقضى فيه للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم يقول لها: كونى تراباً، فيومئذ يتمنى الكافر لو كان تراباً.

قم وقبل رأس الوالدين وأيديهما، واسألهما الصفح عنك، ولا تعد إلى الإساءة ثانية، وتذكر أن الدنيا سوق كبير، قام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، كيف بك لو وضع عملك فى الميزان، فرجحت كفة السيئات بالعقوق، وخفت كفة الحسنات بسبب جحودك وإعراضك؟!.

إن ربك عز وجل مطلع ورقيب، لا تخفى عليه خافية ولا تضيع عنده مثاقيل الذر ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:47].

ثامناً: تذكر الموت والقبور والآخرة

الذى يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، والمسلم الذى يضيع نفسه بعقوق الوالدين، لو تذكر الموت والقبور لكان ذلك رادعاً له عن عقوقه، داعياً له إلى الاستقامة على شرع الله، وإلا فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ويعرض نفسه لغضب جبار السموات والأرض، ويورد نفسه نيران الجحيم.

وقد يقولون: من لم يردعه الموت والقبور والآخرة فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع، وفى الحديث: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»(١).

* قال الحسن ﷺ : «إن أمراً هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد فى أوله، وإن أمراً الموت أوله لحقيق أن يخاف آخره، ولأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تتدركك المخاوف».

* وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: «ثلاثة أضحكتنى حتى أبكتنى: طالب دنيا والموت يطلبه، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أرضى ربه أم أسخطه، وغافل ليس بمغفول عنه».

* «وكان عثمان ﷺ إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته ويقول: سمعت خليلى ﷺ يقول: «**القبر أول منازل الآخرة**»(٢).

* والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، وتذكر سرعة انقضاء أجلك، وإن كل ما هو آت فهو قريب والبعيد ما ليس بآت، وتذكر الميزان والصراط وتطاير الصحف، وأن من الناس من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذه بشماله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ

---

(١) رواه الترمذى وصححه الألبانى.

(٢) رواه الترمذى.

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:19-29].

* فبادر، ولا تسوف أو تمهل، فالموت قريب فاحرص على طاعة الله وبر والديك.

* كان عليّ رضي الله عنه يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة».

تاسعاً: معرفة فضل بر الوالدين

السلوك مرآة الفكر، فإذا كانت المرآة صافية كانت الصورة أوضح، ولذلك قالوا: التفسير فرع التصحيح، والحكم على شيء فرع عن تصوره. والإنسان عدو ما يجهل، فالمسلم الحريص على مرضاة الله إذا علم فضل الوالدين، انطلق يسابق الريح طلباً للسلامة والنجاة، وتباعداً عن موجبات السخط وأسباب العذاب، وحذراً من كل ما يدنس نفسه ويورثها نيران الجحيم.

وقد وردت النصوص والآثار بفضل بر الوالدين مما يدفعك ويستحثك على التضرع والدعاء قائلاً: رب احملني على فضلك ولا تحملني على عدلك.

(١) بر الوالدين كفارة الكبائر

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أتى النبي ﷺ رجل فقال: إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل من توبة؟ فقال: «**هل لك من أم**؟ وفي رواية: هل **لك من والدان**؟ قال: لا، قال: **فهل لك من خالة**؟ قال: نعم، قال: **فبرها**»[1].

(١) رواه الترمذي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

* وعن عطاء بن يسار عن ابن عباس ﷺ أنه أتاه رجل فقال: إنى خطبت امرأة فأبت أن تنكحنى، وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لى من توبة؟ قال: أمك حية، قال: لا، قال: تب إلى الله وتقرب إليها ما استطعت، فذهب فسألت ابن عباس ﷺ: لم يسألك عن حياة أمه؟ فقال: إنى لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة»[1].

* ونقل السفارينى فى «شرح منظومة الآداب» عن الإمام أحمد قال: بر الوالدين كفارة الكبائر، قال: وكذا ذكر ابن عبد البر عن مكحول.

(٢) بر الوالدين يعدل أو يفضل على جهاد التطوع

أخرج أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال «جاء رجل إلى النبى ﷺ يستأذن فى الجهاد، فقال: «**أحى والداك؟** قال: نعم، قال: **ففيهما فجاهد**». قال الحافظ فى «الفتح»: أى إن كان أبوان فأبلغ جهدك فى برهما والإحسان إليهما فإن ذلك يقوم مقام قتال العدو. اهـ.

وقال فى موضع آخر: قوله ﷺ: «**ففيهما فجاهد**»، خصصهما بجهاد النفس فى رضاهما فهو من التعبير عن الشيء بضده إذا فهم المعنى لأن صيغة الأمر فى قوله ﷺ: «**فجاهد**» ظاهرها إيصال الضرر الذى كان يحصل لغيرهما لهما، وليس ذلك مراداً قطعاً، وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلمة الجهاد وهو تعب البدن والمال وفيه أن بر الوالدين قد يكون أفضل من الجهاد. اهـ.

وقد ذكرنا أن من بر الوالدين استئذانهما فى جهاد التطوع لثبوت النهى عن الجهاد بغير إذنهما، ولا يصبر على مراقبة أمر الله فى بر الوالدين إلا الصديقون،

(١) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» والبيهقى فى «شعب الإيمان».

لأنه أمر لازم متكرر، فلهذا وغيره قدم بر الوالدين على جهاد التطوع.

وعن معاوية بن جاهمة السلمي: «أن جاهمة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك من أم؟** قال: نعم، قال: **فالزمها فإن الجنة تحت رجلها**»[(١)].

وفي الحديث: «أن أعرابياً من أخلق الرجال وأشدهم جاء فقال: يا رسول الله إني أحب أن أكون معك وأجد لذلك قوة، وأحب أن أقاتل العدو معك وأقتل بين يديك، فقال ﷺ : «**هل لك من والدين؟** قال: نعم، قال: **انطلق فالحق بهما وبرهما واشكر لله ولهما**، قال: إني أجد لذلك قوة ونشاطاً لقتال العدو، قال: **انطلق فالحق بهما**، فأدبر فجعلنا نتعجب من خلقه وجسمه»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «**فهل من والديك أحد حي؟** قال: نعم بل كلاهما، قال: **فتبتغي الأجر من الله؟** قال: نعم، قال: **فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[(٣)].

قال الإمام النووي: «في الحديث دليل لعظم فضيلة بر الوالدين وأنه آكد من الجهاد». اهـ.

(٣) بر الوالدين مغفرة للذنوب

عن يحيى بن أبي كثير قال: لما قدم أبو موسى وأبو عامر رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ فبايعوه وأسلموا قال: «**ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟** قالوا: تركناها

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» بسند صحيح.
(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» ومسلم في «صحيحه».

فى أهلها، قال: **فإنها قد غفر لها**، قالوا: بم يا رسول الله؟، قال: **ببرها والدتها**، قال: **كانت لها أم عجوز فجاءهم النذير أن العدو يريد أن يغير عليكم الليلة، فارتحلوا ليلحقوا بعظيم قومهم، ولم يكن معها ما تحمل عليه فعمدت إلى أمها فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعيت وضعتها ثم ألصقت بطنها ببطن أمها وجعلت رجلها تحت رجل أمها من الرمضاء، حتى نجت**»[١]. الحديث مرسل، والمرسل قسم من أقسام الضعيف، ولكن المعنى لا يبعد ففضل البر كبير وعظيم عند الله، وقد وردت النصوص بذلك والراحمون يرحمهم الرحمن، وفى كل ذى كبد رطبة أجر، فقد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض، وعلى العكس والنقيض، فقد دخلت بغى من بغايا بنى إسرائيل الجنة بسبب كلب سقته، فشكر الله لها صنيعها وأدخلها الجنة، فما بالك ببر الوالدين.

(٤) بر الوالدين من أسباب دخول الجنة

الطاعات والقربات كالصدقة والجهاد وبر الوالدين.... لا تقبل إلا ممن يؤمن بالله تعالى فالإيمان شرط قبول الصالحات، والعبد يوم القيامة قد يكون بحاجة لحسنة تثقل الميزان، ويدخل بها الجنان، وينجو بسببها من النيران ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[فاطر: 32].

وقد وردت النصوص تدل على أن البر من أسباب دخول الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فسمعت قراءة، فقلت: من هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذلكم البر، وكان باراً بأمه**»[٢].

(١) رواه عبد الرزاق فى «المصنف» والبيهقى فى «شعب الإيمان» وهو مرسل.

(٢) رواه النسائى. ورواه أحمد بلفظ: «وكان أبر الناس بأمه»، وصحح الحافظ إسناده وبهذا اللفظ أخرجه البيهقى والبغوى والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخان وأقره الذهبى. وفى بعض الروايات «نمت فرأيتنى فى الجنة» رواه عبد الرزاق فى مصنفه

قال الطيبى فى شرح «المشكاة»: «رأى النبى ﷺ هذه الرؤيا وقصها على أصحابه، فلما بلغ إلى قوله «**حارثة بن النعمان**». نبههم على سبب نيل تلك الدرجة، فقال: «**مثل تلك الدرجة تنال بسبب البر**».اهـ.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة**»[١].

ذكره الإمام النووى وقال: «وفى الحديث الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر فى ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه».اهـ.

(٥) رضى الله فى رضى الوالدين

الجزاء من جنس العمل، فمن أراد رضوان الله، فعليه بالاستقامة على شرعه والطاعة لأمره والحرص على بر الوالدين، ففى رضاهما مرضات الله تعالى.

وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**رضى الرب فى رضى الوالد، وسخط الرب فى سخط الوالد**»[٢].

والمراد بالوالد: الجنس أو إذا كان حكم الوالد هذا فحكم الوالدة أقوى وبالاعتبار أولى، فلها ثلاثة أرباع ما للأب من البر كما قرر العلماء.

---

(١) رواه أحمد ومسلم، ورواه الحاكم والترمذى عنه رضي الله عنه بلفظ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة».
رغم: ذل، وقيل: كره وخزى، وهو بفتح الغين وكسرها، وأصله: لصق أنفه بالرغام وهو التراب مختلط بالرمال.

(٢) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» موقوفاً على عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٦) استجابة دعاء من بر والديه

والدليل على ذلك حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فأطبقت عليهم الصخرة وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فانفرجت الصخرة وخرجوا جميعاً يمشون، وقد توسل الأول ببره لوالديه.. والحديث متفق عليه.

(٧) بر الوالدين سبب زيادة العمر وسعة الرزق

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره**»(١).

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا بالدعاء ولا يزيد العمر إلا بالبر**»(٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**»(٣).

وقد ذكر البعض: أن بر الوالدين شكر الله تعالى لأنه سبحانه قال: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان:14]. فإذا برهما فقد شكرهما، ومن شكرهما فقد شكر الله، والشكر من العبد سبب المزيد من الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم:7]. ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد.

والزيادة الواردة في النصوص على حقيقتها وذلك بالنسبة لعلم الملك الموكل بالعمر والرزق، وقيل: هي كناية عن البركة أو بقاء الذكر الجميل، وقيل: غير ذلك، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو علي والطبراني والحاكم.
(٢) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.
(٣) رواه أحمد والبيهقي بسند رجاله رجال الصحيح وأصله في الصحيحين باختصار ذكر (البر).

(٨) من بر والديه بره أولاده

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم**»(١).

من عق والديه عقه أولاده كما قال العلماء، فعن ثابت البناني قال: رأيت رجلاً يضرب أباه في موضع فقيل له: ما هذا، فقال الأب: خلوا عنه فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع.

وحكي: أن رجلاً قام على خدمة لأبيه فسئمه ومله، فخرج به إلى الصحراء، فقال له أبوه: ماذا تريد مني؟ قال له الابن: أن أذبحك، فقال له الأب: فاذبحني عند الصخرة، فقد ذبحت أبي عندها ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:49].

(٩) قد تستجلب ببركة دعوات مستجابة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث دعوات مستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالدين على الولد**»(٢).

من المشاهد أن الولد البار يتعلق به والداه وقد يحبانه أكثر من بقية إخوته يلهج لسانه بذكره وترتفع أكف الضراعة إلى الله رجاء تسديده وتوفيقه، وعلى العكس والنقيض إذا كان الولد عاقاً فقد يستجلب بعقوقه دعاء الوالدين عليه، وقد مرت بك قصة جريج العابد الذي منعته عبادته من إجابة أمه فدعت عليه أن لا يموت حتى ينظر في وجوه المياسس وقد أصابته دعوة أمه.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» وأبو داود والترمذي وحسنه. ورواه ابن ماجه من حديث بلفظ: «ودعوة الوالد لولده».

عاشراً: معرفتك بالعقوق وخطورته يعينك على بر الوالدين

قال عمر بن الخطاب ﷺ : «يهدم الإسلام إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية»؛ وقال حذيفة ﷺ : «كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».

وقال البعض:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه — ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وما بعد البر إلا العقوق، والعقوق كبيرة من الكبائر، وصوره كثيرة وعديدة فعلى كل من أراد سلامة نفسه ونجاتها أن يتجنب العقوق دقيقة وجليلة حتى يكون باراً بوالديه.

(١) تحريم عقوق الوالدين

عن المغيرة بن شعبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «إنما خص الأمهات بالذكر لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء ولينبه ﷺ على أن بر الأم مقدم على بر الأب فى التلطف والحنو ونحو ذلك وهو من اختصاص الشيء بالذكر لعظم موقعه».اهـ.

وفى تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾

[الإسراء:23].

---

(١) رواه البخارى.

قال العلماء: «فيها المنع من إظهار الضجر القليل والكثير حتى ولو كان على سبيل التأفف ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء:23]. أي لا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما، قال مجاهد: فيما تميط عنهما من الأذى -الخلاء والبول- كما كانا لا يقولانه فيما يميطان عنك من الخلاء والبول، وقال السدى: لا تقل لهما أف فما سواه». اهـ. وهذا أوضح وإلا فالمنع من التأفف يدل على المنع من النهر والشتم والضرب بطريق الأولى والأحرى.

(٢) العقوق من الكبائر

عن أبى بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً**. قلنا: بلى يا رسول الله قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**[١]»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس**»[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الكبائر فقال: «**الشرك بالله وعقوق الوالدين... الحديث**»[٤].

والذنوب كبائر وصغائر، وقد روى عن ابن عباس ﷺ : «أنها كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب». وقيل: وهى ما أوعد الله عليه بنار فى الآخرة أو أوجب فيه حداً فى الدنيا.

---

(١) ليته سكت بمعنى: الشفقة والرحمة برسول الله ﷺ
(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى.
(٣) رواه البخارى.
(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

(٣) ملعون من عق والديه

عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غير تخوم الأرض، ولعن الله من كمه أعمى عن السبيل، ولعن الله من سب والديه، ولعن الله من تولى غير مواليه، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط** -قالها ثلاثاً- **في عمل قوم لوط**»(١).

(٤) العاق لا يدخل الجنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن خمر، والعاق، والديوث الذي يقر الخبث في أهله**»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع حق الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه**»(٣) وقد ورد أن أصحاب الأعراف هم قوم قتلوا في سبيل الله وهم لآبائهم عاصون فمنعوا الجنة، ومنعوا النار لقتلهم في سبيل الله.

ومن المعلوم أن المسلم لا يكفر بالكبيرة ولا يخلد في النار بارتكابها إلا إذا مات جاحداً للواجب أو مستحلاً للحرام، ثم مرتكب الكبيرة إن مات مصراً عليها غير تائب منها فهو واقع تحت المشيئة، إن شاء الله عفى عنه بفضله، وإن شاء عاقبه بعدله، ولا ظلم بين العباد لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

(١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) رواه أحمد والنسائي والبزار، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.
(٣) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٥) تعجيل عقوبة العاق وعدم قبول عمله والخوف من سوء خاتمته

عقوق الوالدين من الذنوب التي تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة كالظلم والبغي والربا وشرب الخمر.... وقد ورد في الحديث: «**اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي، وعقوق الوالدين**»(١).

وقد روى أن الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات، وهذا مشاهد في الواقع.

وقد ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفاً ولا عدلاً: عاق، ومنان، ومكذب بقدر**»(٢). ويخشى على العاق أن يحرم التوفيق وأن يختم له بالسوء وأن يُمنع من النطق بالشهادتين عند الممات.

(٦) بعض صور العقوق وشؤمه

من العقوق أن يحزن والديه وأن يتسبب في بكائهما قال ابن عمر رضي الله عنهما: بكاء الوالدين من العقوق والكبائر، وكذلك التسبب في شتمهما، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه** قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **نعم، يسُبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»(٣).

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ» والطبراني في «الكبير».
(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» بإسناد حسن.
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

وفي رواية للبخاري ومسلم: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**».

والعقوق كما يكون بالقول والفعل يكون بمجرد النظر المشعر بالغضب والمخالفة، وعن عروة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:24]. قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزراً فإنه أول ما يعرف غضب المرء شدة نظره إلى من غضب عليه.

وعن الحسن ﷺ قيل له: إلامَ ينتهى العقوق؟ قال: أن يحرمهما ويهجرهما ويحد النظر إليهما.

ولا يجوز للابن أن يتبرأ من والديه ولا أن يتكبر عليهما ويحرم عليه ضربهما أو قتلهما وهذا من باب أولى وأحرى بل ورد الوعيد فى حق من عق أصدقاء والديه، فعن ابن عمر ﷺ: «أنه مر بأعرابى فى سفر وكان أبو الأعرابى صديقاً لعمر ﷺ فقال للأعرابى: ألست ابن فلان؟ قال: بلي. فأمر له ابن عمر ﷺ بحمار كان يستعقب عليه ونزع عمامته من رأسه فأعطاه، فقال بعض من معه: أما يكفيك درهمان؟ فقال: قال النبى ﷺ: «**احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك**»[1].

وعن عمرو بن مرة الجهنى ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالى وصمت رمضان، ما لي؟ فقال النبى ﷺ: «**من مات**

---

(1) رواه البخارى فى «الأدب المفرد» والطبرانى فى «الأوسط» والبيهقى وقال العراقى: إسناده جيد حسن.

على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب إصبعيه- ما لم يعق والديه»[1].

(٧) أسباب ودوافع العقوق

أسباب ودوافع العقوق عند المكلفين كثيرة، وقديماً قالوا: ما عصى الله إلا بالتأويل، فما من ذنب إلا وقد يكون مبرراً عند أصحابه ولكن لا عذر لهم عند ربهم فى انتهاك حرماته وارتكاب معاصيه بعد ما علموا حرمة العقوق وأن أدناه إظهار الضيق والضجر والتأفف من الوالدين، فلو كان الإنسان مسلوب العقل فاقد الإرادة والأهلية فمثل هذا قد رفع عنه قلم التكليف، وقد ورد فى الخبر: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبى حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**»، وفى الحديث: «**رفع لى عن أمتى الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**».

ونحن نذكر هنا بعض الأسباب التى نراها دافعة لظاهرة العقوق:

١- الحالات النفسية

الأمراض النفسية هى أحد أمراض العصر، وقد زادت نتيجة الطغيان المادى المعاصر وتباعد الحياة عن منهج الله، ولذلك، فعلى الرغم من التطور والتقدم المادى فى الغرب، إلا أن نسب الانتحار والأمراض النفسية من أعلى النسب فهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:7]. فالمصحات النفسية والمستشفيات العقلية تمتلئ بالنزلاء نتيجة انفصال الروح عن الجسد والدنيا عن الآخرة والأرض عن السماء، وقد تسربت

---

(١) رواه أحمد والطبرانى فى «الكبير» وابن خزيمة وابن حبان.

هذه العلل إلى هذه الأمة نتيجة التباعد عن دين الله ولا تستبعد أن تكون الأمراض النفسية وراء انتشار ظاهرة العقوق، وسبب من أسبابها كهذا الذى يقتل أمه وهى تصلى وذاك الذى يضرب أباه حتى يموت...

٢- الطغيان المادى المعاصر

أدى الانبهار بصور الحياة المادية، والانفتاح على الغرب، وحرص البعض على استيراد النجاسات الموجودة فى أمعاء الحضارة الغربية مع عدم الحصانة الإيمانية، وقلة ذات اليد فى كثير من البيوت فى التواكب مع الموضات والتسريحات وسائر مظاهر الترف... إلى ظهور كثير من صور العقوق.

وحكى لى أحد الأخوة السائقين أنه كان يقود سيارة قرب منتصف الليل، فوجد امرأة تبكى، فظن أنها تريد أن تصل إلى بيتها ولا تجد مالاً تدفعه، فأركبها معه، وأخذت تحكى له قصتها، وأن لها أولاداً ثلاثة أخذوا يبكتونها على زواجها من أبيهم العجوز ويتهددون ويتوعدون بضربه عند رجوعه من السعودية لأنه لم يشتر لهم سيارات ولم يضع لهم نقوداً فى البنك وكان الأبناء الكبار جامعيين والثالث فى الثانوية العامة، هذه صورة من صور العقوق التى يطفح عنها المجتمع.

٣- المراهقة ومحاولة إثبات الرجولة الزائفة

مرحلة المراهقة من أخطر المراحل التى يمر بها الإنسان، لما فيها من عدم الاتزان وعدم القدرة على النظر فى عواقب الأمور، وسطحية التفكير والإغراق فى الحماسات وعدم استيعاب الشرع والواقع، ومحاولة إثبات الرجولة الزائفة عن طريق الاعتداد بالرأى وعدم الانصياع لأوامر الوالدين والنظر لهما على أنهما من الجيل القديم الذى لا يعيش عصره ويفكر بطريقة بالية لم تعد تصلح... مما يحمل فى طياته معانى النقص للوالدين تلميحاً وتصريحاً.

٤- الاعتزاز بسوء النشأة والبيئة

ظاهرة العقوق يتحمل الآباء قدراً كبيراً من وزرها وأسباب نشأتها نتيجة إهمال الأبناء وإسلامهم إلى التليفزيون وللمناهج الدراسية القاصرة والشوارع... فقد صار دور هذه الجهات أكثر تأثيراً فى صياغة عقول الأبناء وتلويث أفكارهم وإبعادهم عن معانى الإيمان، واقتصرت مهمة الآباء بل والأمهات فى العمل والكسب والحرص على لقمة العيش للإتيان بالمسكن والملبس والمأكل... وكأن الآباء إذا قاموا بذلك فقد أدوا ما عليهم من واجبات ومسئوليات تجاه الأبناء، فالأب لا يتطلع لأكثر من نجاح ابنه آخر العام، وأن يصير طبيباً أو مهندساً وما عساه بعد ذلك أن يموت قرير العين فقد كبر الأبناء وصاروا فى مراكز مرموقة وإن لم يكلف نفسه بنصح أولاده بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن... وهذا هو عقوق الآباء تجاه الأبناء، ولا عجيب أن يكون الجزاء من جنس العمل، ولذلك قال البعض: عققناهم صغاراً فعقونا كباراً.

وقد يعتذر الأبناء فى عقوق الوالدين بسوء النشأة وطبيعة البيئة، فالواجب عليهم أن يتقوا الله عز وجل، وأن يتخلقوا بأخلاق المؤمنين، وان لا يواجهوا الإساءة بالإساءة والخطأ بالخطأ، بل عليهم أن يحسنوا لمن أساء إليهم، وأن يتقوا الله عز وجل فيمن لا يتقى الله فيهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:96]. وقالوا: كن كالشجر يقذف بالحجر فيلق الثمر، والأخلاق السيئة من الممكن استبدالها بأخلاق حسنة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ﴾ [الأعلى:14-18]. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69].

وكم من نبتة طيبة ظهرت وسط الحشائش السامة.

٥- الجهل

الإنسان عدو ما يجهل، وما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين، ولما سئل سهل أتعرف شيئاً أشد من الجهل، فقال: نعم الجهل بالجهل، وذلك لأنه يسد باب العلم بالكلية، ونحن نعيش فى وقت غربة رفع فيه كثير من العلم وبسط فيه من الجهل وصار الناس أسرى العرف والعادة والواقع، وقد أدى انحراف الدنيا عن دين ربها إلى ظهور كثير من صور العقوق، فهذا يتكتم أحواله عن والديه بينما يطلع أصدقاءه، وهذا يكتفى بالاتصال بوالديه كل شهر مرة أو بهدية فى عيد الأم، وهذه علاقته بوالديه، على الرغم من قربه منهما وسهولة الوصول إليهما، والثالث يؤثر البعد عنهما... وهذه كلها جهالات لابد من وقفها، ولا سبيل لذلك إلا بتعلم صور البر وما ينافيه من العقوق على سبيل الإجمال والتفصيل، ثم متابعة العلم النافع بعمل صالح، ولا يكتفى بمجرد النوايا الطيبة، فلابد من صحة العمل ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠]. فلو كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، ولو لم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص ما كان ابتغاء وجه الله، والصواب هو ما وافق سنة رسول الله ﷺ.

٦- قرناء السوء والتقليد الأعمى

المرء على دين خليله، ومثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: ودت الزانية لو زنت النساء جميعاً.

فإياك وصديق السوء، فالحمام مع الحمام، والصقور مع الصقور... والطيور على أشكالها تقع ولذلك قال البعض: قل لى من صاحبك أقول لك من أنت،

فكل قرين بالقرين يقتدى، وقد كان عقبة بن أبى معيط يعامل النبى ﷺ معاملة حسنة، حتى قدم خليله من الشام، فدعاه خليله لأذية النبى ﷺ ، ونزل فيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:27-29]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:67].

ومصاحبة العاق لوالديه شؤم، بل التباعد عنه أوكد من التباعد عن الأرض التى نزل بها الطاعون وعمن به جرب أو جذام، وهذا العاق قد يستحث أصحابه على مثل طريقته، وقد يتهكم بهم أنهم تبع لأمهاتهم.. إلى غير ذلك من العبارات التى تلتبس على الأغرار وتتسبب فى عقوق الوالدين.

٧- الزوج يأمر زوجته بقطع رحمها وهى تتبرم ببره بوالديه

وهذه المسألة تلتقى بالمسألة السابقة، وقد أحببت أن أفردها بالذكر لأهميتها وانتشارها، فالزوج كثيراً ما يأمر زوجته بقطيعة أهلها لكونهم لا يحسنون استقباله أو لوجود بعض المخالفات عندهم... وقد يصنع ذلك إظهاراً للشفقة والخوف على زوجته أو للنكاية فيها، مما يجعل الزوجة تشعر بأنها موضوعة بين فكى رحى فهى مأمورة بطاعة زوجها، والمرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى حرصها على صلة رحمها وبرها بوالديها، وأحياناً نجد الزوجة تتبرم إذا وجدت زوجها باراً بوالديه حريصاً على النفقة عليهما أو زيارتهما أو السمع والطاعة لهما وقد يترتب على ذلك مشاحنات وخصومات وقد تنتهى بالطلاق.

لا خير فى زوج لا يعين زوجته على بر الوالدين وصلة الأرحام، ولا خير فى زوجة تريد قطع زوجها عن أهله، بل كيف يأمن الرجل لامرأة لا خير فيها لأهلها؟

وكيف تأمن زوجة لزوج سهل عليه أن يبيع أهله من أجلها؟ وكيف يتربى الأبناء فى أجواء العقوق هذه؟ ولا يبعد أن يسلكوا معنا نفس المسلك، فقد أرضعناهم لبان العقوق، ولم تقع أعينهم إلا على قطع الأرحام والاستخفاف بما أمر الله به أن يوصل قال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:22]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال:75]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ [النساء:1].

وسئل رسول الله ﷺ عما يدخل الجنة من الأعمال ويباعد عن النار؟ فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم**»(١).

لنكن عوناً لبعضنا البعض على طاعة الله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:2].

فلا داعى للتعسف فى استخدام الحق، وما كان الرفق فى شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، ولا داعى لأن نكيل بمكيالين، فالواجب أن نحب للناس ما نحب لأنفسنا، وأن نأتى لهم بما نحب أن يأتونا به، بل أنت لو أحسنت إلى أهل زوجتك لكان ذلك عملاً صالحاً وسبباً فى ترقيق قلب الزوجة ومحبتها لك، وفى حديث أم زرع، قال لها زوجها: «كلى أم زرع وميرى أهلك» أى أعطى أهلك. والتعلل بوجود بعض المخالفات لا يصلح أن يكون مانعاً من البر فى كل حال لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:272].

---

(١) متفق عليه.

لابد من تكثير الخير والصلاح وتقليل الشر والفساد، والحرص على الجمع بين المصالح ما وسعنا الأمر، فلا تعارض بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبين بر الوالدين وصلة الأرحام، فإن أصر الزوج على منع زوجته من زيارة أهلها، فعليها أن تبر والديها وتصل رحمها بالهدية والمراسلة والسلام ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]. ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: 16].

٨- تبرير العقوق بظلم الوالدين!!

لا يجوز عقوق الوالدين حتى وإن ظلماه وأمراه بالخروج من الأهل والمال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محسناً إلا فتح الله له بابين يعنى من الجنة، وإن كان له واحداً فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه، قيل: وإن ظلماه، قال: وإن ظلماه»[١]. وهذا ومثله لا يقال من قبل الرأى.

وقد روى مرفوعاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح مطيعاً لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحداً فواحد، ومن أمسى عاصياً لله تعالى فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار وإن ظلماه**»[٢].

وعن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت: كنت أصب على رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل: فقال: أوصنى، فقال: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت بالنار ولا تعصى والديك وإن أمراك أن تخلى أهلك ودنياك فتخل ولا تشربن خمراً فإنها مفتاح كل شر**»[٣].

(١) رواه البخارى فى «الأدب المفرد».
(٢) رواه ابن أبى شيبة والحاكم والبيهقى والدارقطنى.
(٣) رواه الطبرانى.

وعن أم أيمن أن رسول الله ﷺ : أوصى بعض أهل بيته، فقال: «**لا تشرك بالله وإن عذبت وإن حرقت وأطع ربك ووالديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء فاخرج**»[1].

فلا تبرر ظلمك للوالدين بظلمهما لك، واحذر العقوق فإنه هلكة فى الدنيا والآخرة ولا داعى للتبرير والتأويل فالعقوق عقوق، وإن ظلماك وجارا عليك.

٩- الحرص القاصر على طاعة من أسباب العقوق

حداثة العهد بالتدين والالتزام مظنة وقوع كثير من صور العقوق، بسبب قلة العلم من جهة، وغلبة الحماية من جهة أخرى، فالبعض مع بداية صلاته وحرصه على الهدى الظاهر، قد يذهب فيكفر والديه، أو ينظر إليهما نظرة انتقاص واحتقار لأنهما لا يحرصان حرصه، وليسا على هيئته، فالأم تذهب للكوافير وتتبرج وتنظر للتليفزيون، والأب حليق اللحية ويدخن ويجلس على المقهى.. والأخ يصاحب أصدقاء السوء ويسهر خارج المنزل ويفسق ويفجر... والأخت لا همة عندها إلا متابعة الموضات والرقص والغناء... ومع الحرص على التدين والالتزام يشعر الإنسان بغربة شديدة، فما قرأه من الآيات يتنافى مع هذا الواقع الأسرى الذى يعيشه، بل مع الواقع كله من حوله، فتكون صور العقوق وغيرها، لعدم تمكنه من العلوم الشرعية والضوابط الإيمانية ولذلك فالحرص على الطاعة فى حداثة العهد غالباً ما يكون قاصراً مبتوراً، إذ لا قدرة على موازنة الحسنات والسيئات والمصالح والمفاسد، فيقع فريسة سهلة لشياطين الإنس والجن، ويتوهم نفسه يجاهد فى سبيل الله، وفى حقيقة الأمر وواقعه، هو يعصى ربه ويعق والديه، وينفر من حوله من طاعة الله، وإلا فمعصية الوالدين لا تبرر عقوقهما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن

(١) رواه البيهقى.

جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:15]. فالمصاحبة بالمعروف مطلوبة مع شركهما بالله، فكيف وقد ورثا الإسلام وجهلا معانيه، ولم تقم عليهم الحجة الرسالية قياماً يتأكد معه أن يحيَّ من حي عن بينة، وأن يهلك من هلك عن بينة.

فإذا أُمر الابن بمعصية كترك الصلاة وحلق اللحية...فلا سمع ولا طاعة، ومخالفة لهما هنا ليست عقوقاً بل هى طاعة لله تعالى، فلا يجوز إرضاء الناس بسخط الله، ولكن حرصه والتزامه بالصلاة واللحية...لا يبرر له شتم الوالدين أو ضربهما أو إحداد النظر إليهما...فيكون بذلك قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولنا فى إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة إذ قال لأبيه آزر ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:47]. وأنت يسعك أن تكثر من الدعاء لوالديك وأن تزيل شبهاتهما، وأن تعلمهما ما جهلاه من دين الله برفق ولين، ولا بأس بإهدائهما... وكل ذلك مع صبرك وثباتك على طاعة الله وحرصك على تأدية الواجبات وامتناعك عن المحرمات، فيصطلح بذلك كل فريق على حقه، وأحياناً يضيق صدر الابن ويتبرم بوالديه إذا أمراه بالعمل ومذاكرة دروسه...وكأنهما يأمرانه بمعصية، أو يطلبان إبعاده عن التدين والانغماس فى الدنيا وملذاتها ولذلك يسخر منهما ويعص أمرهما، وما أمراه إلا بمباح أو ما فيه مصلحة، ولو كان مطيعاً حقاً لحرص على الجمع بين المصالح فذاكر دروسه وأتقن عمله وأرضى والديه، واحتسب أجر ذلك عند الله وانتوى الاستعانة بذلك على إقامة الفروض العينية والكفائية، حتى لا يكون فتنة للخلق.

ومع علو الهمة والاستعانة بالله عز وجل لن تتخلف عن العلم النافع والعمل الصالح، ولن تجد تعارضاً بين المذاكرة وإقام الصلاة فى وقتها فى المسجد والمشاركة فى الدعوة إلى الله....

ومثل هذا يقال أيضاً لمن أراد أن يعاشر زوجته بالمعروف فلا معارضة بين المطلب وبين مصاحبة والديه بالمعروف والإحسان إليهما.

١٠- أضعنا أمر الله فاستشرى العقوق

كان بعض العلماء يقول: إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وخادمي وامرأتي؛ فيحدث التسلط على الإنسان بسبب ذنوبه ومعاصيه، ولذلك قال سبحانه وتعالى: **﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾** [آل عمران:120]. وقال سبحانه وتعالى: **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾** [آل عمران:165].

وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة؛ فمن أراد أن يحفظ من العقوق وغيره، عليه بحفظ أوامر الله ونواهيه، ولذلك قال النبي ﷺ لابن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك... الحديث**»[١].

وفي رواية غير الترمذي: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

وقد كان سعيد بن المسيب يطيل في صلاته، ويقول لابنه: والله إني لأطيل في صلاتي رجاء أن أحفظ فيك، ويتلو قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾** [الكهف:82]. وحفظ الله لعبده نوعان:

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أحدهما: حفظه له فى مصالح دنياه كحفظه فى بدنه وولده وأهله وماله؛ قال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وستره؛ قال بعض السلف: من اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غنى عنه.

والنوع الثانى من الحفظ: حفظ الله للعبد فى دينه وإيمانه فيحفظه فى حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان. قال سبحانه وتعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف:24].

ونحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار، وأضعنا أنفسنا بإضاعة الأمانة، والتفريط فى تربية أولادنا تربية إيمانية، فقد أصبحت الدنيا هى كل همنا ومبلغ علمنا، وتوهمنا مع ذلك كله أننا نحسن الصنع ونؤدى الرسالة ونبلغ الأمانة بإتقان. أين نحن من قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم:6]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء:58].

وفى الصحيح: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**»(١). وفى رواية: «**وإن صام وزعم أنه مسلم**».

بئست الخيانة أن تضيع أولادك، واعلم أنك لم تؤتى إلا من قبل نفسك وبسبب ذنوبك فاستغفر الله.

وإليك بعض المعانى التى تتعلق بصلاح الأبناء حتى تكون على بينة من أمرك:

---

(١) متفق عليه.

الولد من سعى والديه وكسبهما

الولد الصالح هو خير ثروة للإنسان في حياته وبعد مماته، ولذلك قال النبي ﷺ : «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

والذرية الصالحة يجمع شملها مع آبائهما الصالحين في الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور:21]. وفي تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[يس:12]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[النجم:39].

قال العلماء: إن ابن الإنسان من سعيه وكسبه وهو من جملة آثاره، ولذلك فعمله الصالح ينتفع به الوالدان، دون أن ينقص من أجره شيء، أما لو أساء الابن فعليه إساءته ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء:15]. طالما قاما بحقه في التربية الصالحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لا بورك في الدنيا تأتي على حساب الدين، وإلا فالنفس إلى موت والمال إلى فوت ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور:21]. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس:34-37].

فالحرص على طاعة الله في زواجك وتربيتك لأولادك، وقيادة بيتك قيادة إسلامية وفق ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ، وقد استحب العلماء الفتح على الصبي بكلمة الحمد والشهادة، وتعليمه معاني السيرة، وتحفيظه القرآن والحديث، وتعويده الأخلاق والآداب الإسلامية، وفي وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ

---

(1) رواه مسلم.

عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان:17]. ومن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:74].

حسن اختيار الزوجة

حرص المسلم على الولد الصالح يجعله يحسن اختيار الزوجة، وأن تكون من ذوات الدين، لأن المرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، كما قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

هذه الأم ستتعاهد ابنها وتكون قدوة له، وتربيه على البر والخير وعلو الهمة، كحالة هند بنت عتبة ﵂ عندما دخل عليها أحد أقاربها، وكانت تحمل صغيرها -معاوية بن أبى سفيان ﵁ - فقال لها: إن عاش معاوية ساد قومه، فقالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه. والسيادة الحقة تكون بالحرص على معالى الأمور والتنزه عن سفاسفها، والبعد عما يخدش المروءة فضلاً عن ارتكاب الكبائر كالعقوق ونحوه.

ومما يروى أن أم سفيان الثورى، قالت: لسفيان عندما دفعته لطلب العلم: يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى -وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة من حين لآخر؛ وتقول له: يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى فى نفسك زيارة فى خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك.

الدعاء عند البناء وحال الجماع

المسلم يحرص على الاستنان بسنن الأنبياء والمرسلين، فى دعائهم وسؤالهم ربهم الولد الصالح، كما فى دعاء زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم:5-6]. والعبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60].

وقد سن النبى ﷺ لأمته، إذا تزوج أحدهم امرأة أو اشترى خادماً، أن يقول: «**اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيراً، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد، لم يضره الشيطان أبداً**»(٢).

الأذان والتحنيك

من السنة الأذان فى أُذُن المولود عند ولادته، لما رواه أبو رافع رضي الله عنه قال: «رأيت النبى ﷺ أذن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة رضي الله عنها بالصلاة»(٣).

كما نحرص على التحنيك -بمضغ من يظن فيه الصلاح تمراً ويأخذ بعضه المختلط بريق ليوضع فى فم الصبى- المولود، فعن أبى موسى رضي الله عنه قال: «ولد إلى غلام فأتيت النبى ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلى»(٤).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم»(٥).

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أبو داود وصحح الألبانى إسناده.

العقيقة وحسن اختيار الاسم

يسن للإنسان أن يختار لابنه اسماً حسناً، لما رواه أبو الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم**»(١).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن أحب الأسماء إلى الله عزوجل عبد الله وعبد الرحمن**»(٢).

ومن المعلوم أن الأسماء لها تأثير كبير في سلوكيات الأشخاص، فاختر لولدك اسماً يبعث على حرارة الإيمان ويدفعه لبرك كأسماء الأنبياء والصحابة، وما عبد وما حمد.

ولا تبخل بالعقيقة عن المولود فهي مسنونة ومشروعة عند الاستطاعة، ويذبح عن الغلام شاتان وأدناها واحدة، وعن الجارية شاة واحدة، فعن سلمان بن عامر الضبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا الأذى**»(٣).

دور المربي الصالح

كان الآباء يدفعون أبناءهم إلى المربين ويزودونهم بالنصائح، فقد روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان ﷺ لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء،

---

(١) رواه أبو داود بإسناد حسن.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

وأخلاق الأدباء، وتهددهم بى، وأدبهم دونى، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل الدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلن على عذر منى، فإنى قد اتكلت على كفاية منك.

ولما دفع هارون الرشيد-رحمه الله- ولده الأمين إلى المؤدب قال له: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار ورَوِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته، فيستملى الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة.

تعاهدوا الأبناء بمعانى التربية

كان من مضى بإحسان يحرصون على تربية أولادهم تربية إسلامية متكاملة، خلقياً وفكرياً وجسمانياً، ويغرسون فيهم معانى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويعودونهم حب الله ورسوله ﷺ ، ومراقبة الله تعالى فى السر والعلن ويعلمونهم أحكام الحلال والحرام ويجنبوهم الكذب والسرقة والسباب والشتائم والخلطة الفاسدة، والميوعة والانحلال والقدوة السيئة، ويستحثونهم على الرياضات البدنية النافعة، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً».

ولنا فى هؤلاء الأفاضل أسوة حسنة، فلابد أن نحذوا حذوهم فى تعاهد أولادنا بكل صور الحفظ والصيانة، لأنهم أمانة بين أيدينا، ولنعلم أن قلوبنا وقلوبهم بين يد الله سبحانه، وما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب الشرعية ونتوكل على خالق الأرض والسموات فى جلب النفع ودفع الضر.

ما يصير به العاق باراً

عن محمد بن سيرين قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه من البارين**»[١].

يجب على العاق أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً، وأن يبادر ببر الوالدين ويحرص على طاعة الله قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران:135]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ**﴾[غافر:1-2]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ**﴾[الأنفال:38].

فتح ربنا أبواب الرجاء لمن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى التوبة، فليس للعاق ومرتكب الكبائر أن يقنط من رحمة الله، ولكن عليه أن يسارع، فتأخير التوبة ذنب يجب أن يتوب منه، وعليه أن يعم بتوبة جميع الذنوب والمعاصي ويندم على ما مضى ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية.

وقيل في معنى التوبة النصوح: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويقلع بالجوارح، فإذا تضمنت المظلمة انتهاك حقوق الآدميين، وجب عليه أن يرد الحقوق لأصحابها لقوله ﷺ : «**من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات**»[٢].

---

(١) أخرجه البيهقي وابن أبي الدنيا، وقال الحافظ العراقي: مرسل صحيح الإسناد.
(٢) رواه البخاري والترمذي.

وقد قال رسول الله ﷺ : «**يا أيها الناس توبوا إلى الله، فوالله إنى لأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**»[١].

وفى الحديث: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٢].

فبادر بالتوبة قبل فوات الأوان، عساها ترد ما قد يرد، فإن البر لا يبلى والذنب لا ينسى، عساك أن تكون من المفلحين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31]. وفى الحديث: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٣].

وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه**».

البر لا ينقطع بموت الوالدين

أخرج أبو داود وابن ماجه عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ﷺ قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة فقال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**»[٤].

---

(١) رواه البخارى ورواه مسلم بلفظ: «فإنى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة».

(٢) رواه الترمذى وأحمد وحسنه الألبانى.

(٣) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه والحاكم وحسنه الألبانى، والغرغرة: هى بلوغ الروح الحلقوم.

(٤) ورواه ابن حبان فى صحيحه وزاد فى آخره: قال الرجل: ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه، قال: «فاعمل به».

وذكر في «الآداب الكبرى» قال: مكتوب في بعض كتب الله: لا تقطع من أبوك يصله فيطفئ نورك.اهـ.

وقال عبد العزيز بن أبي الرواد: إذا كان الرجل باراً بأبويه في حياتهما ثم لم يف بعد موتهما بنذورهما ولم يقض ديونهما كتب عند الله سبحانه وتعالى عاقاً وإذا لم يبرهما وأوفى بنذورهما وقضى ديونهما كتب عند الله سبحانه وتعالى باراً، ذكره الحجاوي رحمه الله.

وقال أبو الليث في «تنبيهه»: «فإن سأل سائل -أن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد، هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما؟ قيل له: بل يرضيهما بثلاث أشياء:

أولها: أن يكون الولد صالحاً في نفسه لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه.

والثاني: أن يصل قرابتهما وأصدقائهما.

والثالث: أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما.

وذكر بعض التابعين: أن من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:14]. فشكر الله سبحانه وتعالى أن تصلي في كل يوم خمس مرات وكذا شكر الوالدين أن تدعو لهما في كل يوم خمس مرات والله أعلم.اهـ.

فعلى الابن أن يكثر من الدعاء لوالديه والترحم عليهما والاستغفار لهما والصدقة عنهما فثواب ذلك يصل لوالديه باتفاق العلماء، وعليه إنفاذ وصيتهما ما لم تشتمل على معصية، وصلة صديقهما من بعدهما، ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه، ويجزئ الحج عنهما إذا ماتا ولم يحجا على نحو ما بينا بشرط أن يكون

قد حج عن نفسه، ففى الحديث: «**حج عن أبيك واعتمر**». بل عليه أن يجتهد فى كل الطاعات والقربات، فهو من آثار والديه وكسبهما وعمله الصالح يعود إليهما دون أن ينقص من أجره شيء لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ [النجم: 39].

البر لا يقتصر على الوالدين

عن أبى رمثة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ : فسمعته يقول: «**أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك**»(١).

قال القاضى عياض: أجمعوا على أن الأم والأب آكد حرمة فى البر ممن سواهما، قال: وتردد بعضهم بين الأجداد والإخوة لقوله ﷺ : «**أدناك أدناك**».

قال الحافظ: وبه جزم الشافعية، فقالوا: يقدم الجد ثم الأخ، وقال الإمام النووى فى «شرح صحيح الإمام مسلم»: قال أصحابنا: يستحب أن تقدم فى البر الأم ثم الأب ثم الأولاد ثم الأجداد والجدات ثم الأخوة والأخوات ثم سائر المحارم من ذوى الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب، ومن أدلى بأبوين على من أدلى بأحدهما ثم بذى الرحم غير المحرم كابن العم وبنته وأولاد الأخوال والخالات، وكذا لو كان القريب فى بلد آخر قدم على الجار الأجنبى وألحقوا الزوج والزوجة بالمحارم، والله أعلم.اهـ.

فالأخ الأكبر بمنزلة الأب وعم الرجل صنو أبيه، ويجب رعاية الحقوق القديمة، ويلزم إكرام من له صحبة سابقة، ولذلك بسط النبى ﷺ رداءه لحليمة السعدية

---

(١) أخرجه الحاكم. والمراد بالدنو: القرب إلى البار.

عندما جاءته يوم حنين فجلست عليه وأكرمها، والخالة أم وبرها مشروع فعن ميمونة رضي الله عنها قال: «يا رسول الله أشعرت أني أعتقت وليدتي؟ قال: «**وفعلت؟ قالت: نعم، قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك**»[١].

والبر بالأولاد والعدل بينهم في العطية، بل وحتى القبلة متأكد، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**سووا بين أولادكم في العطية فإني لو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال**»[٢].

وقد ورد في فضل البر بالبنات أحاديث منها ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**من ابتلى من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»[٣].

الأدب مع آدم وحواء..والصحابة والبر بهم

البر لا يقتصر على الآباء الأدنين، بل يتعداهما إلى الأعلين كآدم وحواء...وصحابة رسول الله ﷺ وقد درج البعض على الاستهلال بذكر معصية آدم وأكله من الشجرة التي نهي عن الأكل منها، وهذا إذا روجع في مخالفة، أو عوتب في معصية بدرت منه.

كما تهكم البعض بالنساء فقال على سبيل السخرية: بنات حواء، وما أكثر صور التنقص من صحابة الصحابة النبي ﷺ ، فهذا يقول: الصحابة قاتل بعضهم بعضاً في معرض التبرير لفعله هو، أو أنهم تنازعوا على الملك... أو أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه سعيد بن منصور والطبراني والبيهقي.
(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي.

عمرو بن العاص خدع وغرر بأبى موسى الأشعرى ﷺ ...وكل ذلك يتنافى مع الأدب والبر بهؤلاء الأفاضل، فلابد من إثبات الأمر أولاً وذكره فى موضعه والتحلى بمعانى الأدب والتوقير والاحترام لهؤلاء الأكابر، وحملهم على أحسن محاملهم وإحسان الظن بهم، فلو استهل الإنسان حديثه عن والديه الأدنين بمثل هذه التهم وشنع بها عليهما لكان عاقاً لهما، فكيف بمن سخر بآدم وتهكم بحواء وانتقص صحابة رسول الله ﷺ ؟!.

هل بر الوالدين يحتاج لفيلم يصور معانيه؟!

بين الحين والآخر يتم استعارة آية أو بعض آية لفيلم من الأفلام المعروضة كفيلم «إن ربك لبالمرصاد» وقد تم تصوير فيلم «وبالوالدين إحساناً» وكثير ما يكون ذلك من جملة الحق الذى يراد به باطل، وتوضع الآيات فى غير مواضعها اللائقة بها، وهذا شبيه بقول النسوة عندما تطلعن لنبى الله يوسف عليه السلام واشتهينه ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31].

لا شك أن قضية كقضية بر الوالدين تستوجب التوضيح والبيان وإزالة الشبهات وبيان مغبة العقوق وعاقبة البر والإحسان، ولابد من تضافر الجهود، واستخدام كافة السبل المشروعة سواء كانت مسموعة أو مرئية لإبراز هذا الجانب، ولكن التمثيل -كأفلام وتمثيليات ومسرحيات- على النحو المعروض، نراه لا يصلح لهذا الهدف بل لا يجوز لكثرة المخالفات، فالتمثيل -التشخيص- عبارة عن غيبة محرمة، فقد قال النبى ﷺ لعائشة رضى الله عنها: «**ما أحب أن حكيت لى إنساناً وأن لى كذا وكذا**»[1].

---

(1) رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت للنبى ﷺ حسبك -أى كافيك- من صفية كذا وكذا». قال بعض الرواه: تعنى أنها قصيرة. فقال النبى ﷺ : «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[١].

والتمثيل بهيئته هذه فيه نوع من التشبه بالكفار، وقد استخدمه الملاحدة وأعداء الإسلام لإلهاء هذه الأمة عن دينها وعن مهمتها وقد كان القانون المصرى حتى 1938م يفسق المغنى والممثل ويرد شهادة كليهما، ففى التمثيل إخلال بالمروءة وإضاعة للحياء، فتارة يجعل الممثل نفسه حماراً أو كلباً أو مجنوناً أو امرأة.. وقد يصل شعره بالباروكة، ويحدث اختلاط مريب بين الرجال والنساء، بل ومعاشرة زوجية بزعم التمثيل ولزوم تأدية الدور!!!.

ولا ينفك التمثيل عن تغيير لخلق الله وإضاعة الأموال والأوقات ويكثر فيه الكذب والاستهزاء والسخرية بالخالق والمخلوق وخصوصاً فيما يسمى بالأفلام الكوميدية.

ولا يخلو التمثيل الدينى من النطق بكلمات الكفر والكذب والزور، فترى الممثل يتقمص شخصية ملك كافر أو شيطان، وقد روى ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: أنا يهودى، فقال رسول الله ﷺ : «**وجبت**».

وفى الحديث: «**أنا زعيم بيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً**»[٢].

---

(١) صححه الألبانى.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه.

ولا تخلو الأفلام من وجود النساء الممثلات مع الرجال بالإضافة للموسيقى والغناء...وهذا فيه من الشر والفساد ما لا يخفى، وقد قرر مجلس المجمع الفقهى الإسلامى المنعقد بمكة المكرمة [١] حرمة تصوير النبى ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنعوا ذلك أيضاً فى حق الصحابة ﷺ .

وهل نحتاج لأن نبتدع عيداً للأم؟!

ظهر عيد الأم، أول ما ظهر فى فرنسا، ونقله كاتب صحفى لبلادنا، اشتهر باختراع الأعياد لكل شيء وكل الفئات كعيد الحب...!!! وكما هو معلوم، فإن الأعياد توقيفية -أى تؤخذ دون زيادة أو نقصان- وهى من أعظم شعائر الدين، ولهذا قال النبى ﷺ : «**فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**». فأعياد المسلمين هى: الفطر والأضحى ويوم الجمعة وهو خير يوم طلعت عليه الشمس، وقد ود الكفار لو بذلوا الأموال العظيمة فى سبيل مشاركة المسلمين لهم فى أعيادهم[٢].

وقد يبرر البعض عيد الأم بورود النصوص فى الكتاب والسنة تستحث على البر وكنوع من التذكير بعظيم حق الأم على أولادها، والإجابة على ذلك أن البر بالوالدين بصفة عامة والأم بصفة خاصة مطلوب فى كل آن وحين، بالليل والنهار، وحال حياتهما وبعد وفاتهما، لا أن نخص يوم 21 مارس من كل عام، بالإتيان بالهدايا للأمهات، ماذا يصنع من لم يمتلك ثمن الهدية؟ وهل يكون الحب والبغض تبعاً للهدية التى يأتى بها كل واحد من الأبناء؟ وماذا يصنع من توفيت أمه؟ وهل تكفى الهدية عوضاً عن معانى البر التى ذكرناها؟ وهل هى تغفر العقوق طيلة العمر...؟!.

---

(١) راجع كتابنا «رسالة إلى أهل الفن».
(٢) راجع كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

أسئلة كثيرة لا تجد إجابة عند من ابتدع هذا العيد، ولو أنه اتبع شرع الله عز وجل لكفاه ذلك ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ : كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة.

وقال ابن مسعود ﷺ : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق.

وقال الشافعي رحمه الله: من استحسن فقد شرع.

فالواجب علينا أن نمرر هذا اليوم «21 مارس» كسائر الأيام دون استحداث شيء زائد وأن نربط الأحكام الشرعية بالأشهر العربية، لا بالأشهر الأفرنجية الميلادية، وأن نحرص على بر الوالدين واستدخال السرور على نفسيهما بكل مستطاع ومقدور لا مخالفة فيه للشرع وحينئذ ستكون كل لحظة تمر على الأم والأب بمثابة عيد لا يلتفتون معها للابتداع والاختراع والغش والكذب والتزييف الذي يحدث في يوم 21 مارس من كل عام.



الخـــاتمـــة

سلام على من كانا سبباً فى وجودك، وقدما لك كل جميل وأسديا لك كل معروف، سلام على من كتب عليك برهما والإحسان إليهما حتى قرن ذلك سبحانه بحقه الواجب فقال عز من قائل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:23]. سلام على أم حملتك كرهاً ووضعتك كرهاً، ووهناً على وهن، سلام عليهما أحياء وأمواتاً، لا نملك إلا أن نرفع أكف الضراعة لخالق الأرض والسموات داعين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:41]. ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:24].

كيف نكافئهما، فلن يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه، لقد بلغ من عظيم حقهما أن جعل سبحانه رضاه فى رضاهما، وسخطه فى سخطهما، ولو لم يذكر الله تعالى فى كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما، لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما، ويقضى حقهما، فكيف وقد ذكر الله تعالى فى جميع كتبه التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد أمر فى جميع كتبه، وأوحى إلى جميع رسله وأوصاهم بحرمة الوالدين، ومعرفة حقهما.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث آيات لا يقبل واحدة منها بغير قرينتها:

أولها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:43]. فمن صلى ولم يؤد الزكاة لا تقبل منه الصلاة.

الثاني: قوله سبحانه وتعالى: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:14]. فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه.

الثالث: قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء:59]. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه».اهـ.

إن البر بالوالدين لا يحرمه إلا شقي، وخاب وخسر ورغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه من أمرك والديه عند الكبر أو أحدهما ولم يدخل الجنة، من لم يكن له خير في والديه، فهل ينتظر منه البر بالآخرين، ومن لم يتأدب مع والديه، فهل يكفي أدبه مع إخوانه؟.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: تأدبوا ثم تعلموا.

وقال ابن المبارك -رحمه الله-: طلبت العلم فأصبت شيئاً منه، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا.

فلا بأس أن تكون أنت غريباً بأدبك مع والديك وبرك بهما، فالطاعات لها سوق عظيم، وأعظم ما يوضع في الميزان غداً حسن الخلق، رحم الله والداً أعان ولده على بره، ورحم الله ابناً بر والديه بكل ما تصل إليه يداه وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان، وقدم نفسه فداءً لهما.

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:60].

اللهم اغفر لي خطاياي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني،

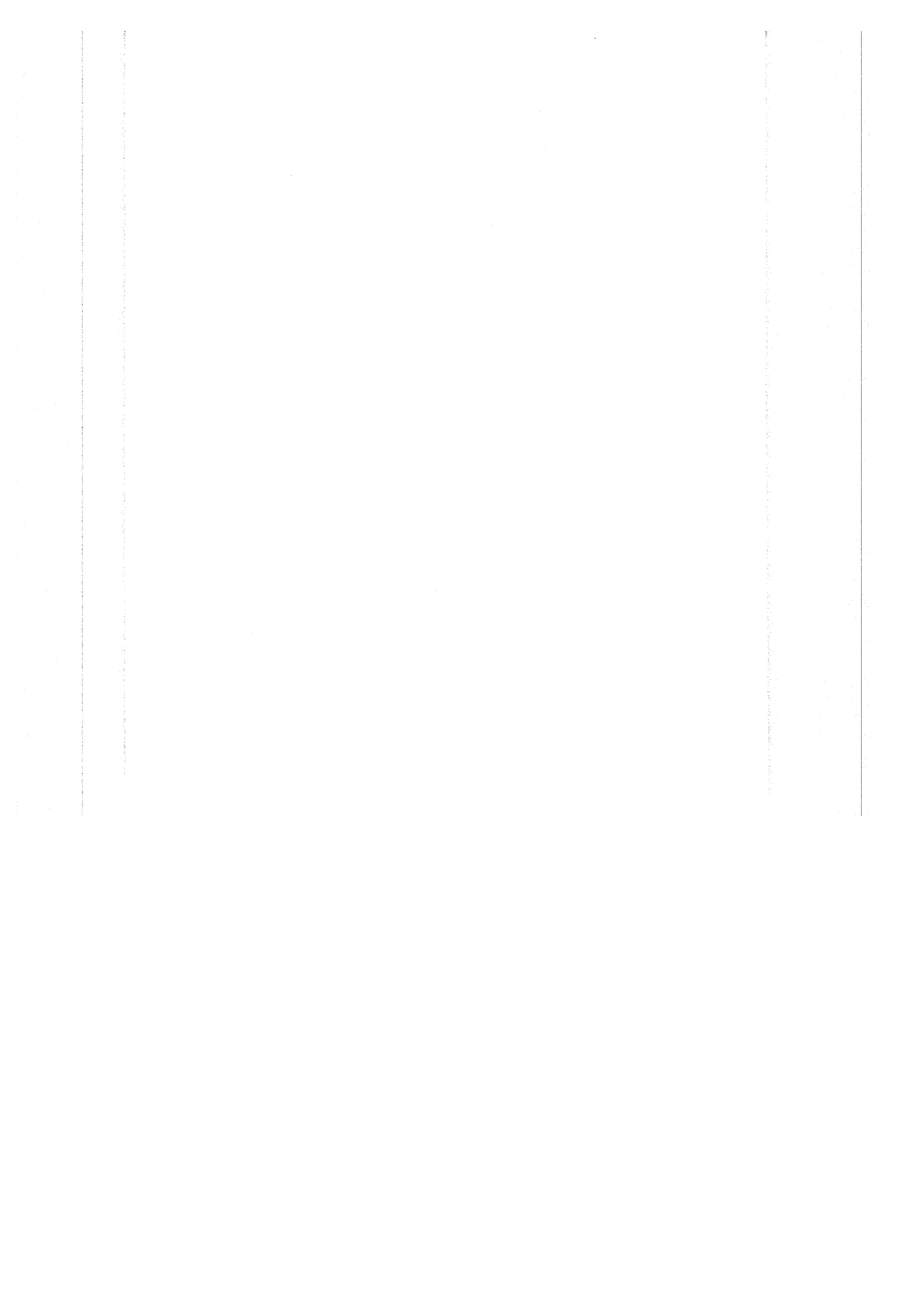
اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي،

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم والمؤخر وأنت على كل شيء قدير.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

سعيد عبد العظيم



الفهــرس

الموضــوع | الصفحة